أشراف بلاد العرب

اشراف ابو عريش وآل عائض أولاد دارسة[1]

لفؤاد حمزة بك وكيل خارجية الحجاز

١ — اشراف أبو عريش

إن تاريخ شرافة أبو عريش قديم غير ان معلوماتنا عنهُ ناقصة جدًّا . ويرجع أساس الشرافة الى الاختلاف الذي كان سائداً بين سكان جبال اليمن وعسير وسكان التهائم . فان الاولين تشيعوا واتبعوا الامام زيد بن علي وظلَّ أهل التهائم شوافع سنّيين . فنشأ عن الاختلاف مشيخات قبائلية موضعية في اماكن عديدة أهمها حكومة زيد التي كانت تشرف على شؤون الشوافع في تهامتي اليمن وعسير وتدفع أئمة صنعاء الزيديين عنهما

بدأت شرافة ابو عريش تشهر منذ احتلال الجيوش العثمانية لجنوبي الحجاز ولعسير واليمن في عام ١٠٠٦ هـ (١٥٩٧ م) اتفق مشائخ تهامة وفيهم شريف ابو عريش على القيام ضد الوالي العثماني حسن باشا الذي تولى من ٩٨٨ — ١٠١٣ هـ [2]

وجهز الترك حملة بقيادة احد موظفيهم واشترك فيها بعض اشراف ابو عريش وصبيا للاستيلاء على صعدة ، فالتقى بها جنود الامام الزيدي قبل وصولها وأفنوها وهرب قائدها الى الساحل عام ١٠٢٤ هـ [3] . وفي عام ١٠٤٤ هـ ، ثار امام صنعاء على العثمانيين وتمكن صالح بن احمد المؤيدي من ضبط ابو عريش من ايديهم ومن الاستيلاء على صبيا والحاقها بالامام الزيدي [4]

وبعد ذلك بخمس سنوات ارسل والي مصر قائداً جديداً الى اليمن اسمهُ احمد فاتصوه فتمكن من استعادة الترك وصبيا وابو عريش من أيدي أئمة اليمن الى حظيرة الدولة العثمانية [5]

وتنقطع عنا اخبار شرافة ابو عريش الى اوائل القرن الماضي حيث ظهرت الدعوة السلفية في نجد على يد حكومة آل سعود الاولى . فان الدعاة نشروها بين قبائل عسير وجنوبي الحجاز وتبعها اكثر قبائل عسير السراة وعسير تهامة ، وكان سعود بن عبد العزيز يجند قبائل عسير تحت امرة عبد الوهاب بن عامر الشمي ابن عمته وهو امير عسير ورجال المع ويرسلهم تارة الى

---

(١) هذا هو الفصل الرابع عشر من كتاب الاستاذ فؤاد حمزة بك وكيل الخارجية في حكومة المملكة العربية السعودية عن تاريخ نجد والحجاز رأينا نشره على ذكر ما نشرته عنه الصحف عن مقاطعة عسير والادارسة . والكتاب يطبع بالمطبعة السلفية بمصر الآن

(٢) كتاب ظهور ائمة صنعاء تأليف أ. س. وزشون ص ٧

(٣) » » » » » » » » ص ٦١

(٤) » » » » » » » » ص ٨٧

(٥) » » » » » » » » ص ١٠٢

الحجاز وطوراً الى اليمن وهذه القبائل هي التي فتحت اللحية والحديدة [١]

في عام ١٢٢٤ كان صاحب ابو عريش الشريف حمود ابو مسمار وكان قبل ذلك قد بايع سعوداً وحالفهُ ودفع عشوره اليه واوفد ابنه الى الدرعية لزيارته . ثم حصل بينهُ وبين عبد الوهاب امير عسير السراة نزاع ادى الى رغبته الى سعود الاصلاح بينهما فلم تنجح وساطة سعود في ذلك . فاصدر امره الى الشريف حمود لكي يجهز قوة ويذهب بها الى صنعاء فلم يفعل . فقلد سعود عليهِ وأمر القوات بالمسير لقتاله . وانتقت القوات ، قوات آل سعود وفيها قبائل عسير ورجال المخ واهل الوديان وأهل بيشة وقحطان وشهران ، وقوات الشريف حمود وفيها دهم وحاشد وبكيل وهمدان وبام، في وادي بيشة . فقتل عبد الوهاب امير عسير في الوقعة الا ان القلة كانت لعساكر آل سعود ففرَّ الشريف حمود الى تهامة ولجأ الى حصنهِ ابو عريش واحتلت العساكر بلاده صبيا وجيزان [٢] . وفي العام المقبل جهز عثمان المضايفي قوة من الحجاز وسار بها مع قوات عسير للقضاء على حمود واقتتلوا في محل يسمى رَحْلة فكسر حمود وفرَّ هارباً واحتلَّ طامي بن شعيب امير عسير الجديد ابو عريش وتقدم منها الى اللحية والحديدة [٣]

وتوفي الشريف حمود عام ١٢٣٣ وتولى ابنهُ احمد مكانه . وحصل بين احمد وبين حسن ابن خالد امير صبيا نزاع ثم اتفقا وفي هذه الاثناء جاءت القوات العثمانية والمصرية الى ابو عريش يقودها خليل آغا فالقت القبض على احمد بن حمود وارسلتهُ الى مصر [٤] ولكن احتلال ابو عريش لم يدم طويلاً فاضطرت القوات المصرية الى الانسحاب وتسليمها الى امام صنعاء الزيدي

وعقد محمد علي باشا اتفاقاً مع الشريف حسين ، شريف ابو عريش للعمل معاً ضد امام صنعاء وضد قبائل عسير المنحازة الى آل سعود ، وتقدمت قوات الاثنين الى الجبال فاحتلت ابها عاصمة عسير عام ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) . ولكنها لم تتمكن من البقاء فيها طويلاً [٥]

وحينما انسحب المصريون من البلاد العربية عام ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ — ١٨٤٠ م) وجد الشريف حسين نفسه قادراً على بسط نفوذه على سائر تهامة والحاقها بابو عريش فوصلت قوته الى مخا جنوبي الحديدة واستولت عليها بالقوة وظلت حكومته فيها وفي سائر تهامة الى ان شرع الترك في استعادة قوتهم في البلاد العربية فجردوا بتحريض الشريف محمد بن عون امير مكة قوة عسكرية عام ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) الى [illegible] وتمكنت القوة من فتح تهامة ودخول صبيا ابو عريش [٦]

وفي زمن حكم الشريف حسين المشار اليه قدم السيد احمد بن ادريس الى صبيا ونال من عطفه ومساعدته ما جعل له شهرة عظيمة بين القبائل تمكن حفيده من الاستفادة منها حينما قام لتأسيس حكومة الادارسة في مطلع القرن الحالي . وتوفي السيد احمد بن ادريس في صبيا عام ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧م) وظل احفاده فيها . ولا ندري كيف تغلب الادارسة على اشراف ابو

(١) تاريخ ابن بشر ص ١٣٣—١٣٤ (٢) ابن بشر ص ١٤٤—١٤٥ (٣) ابن بشر ص ١٤٩
(٤) ابن بشر ص ٢١١ (٥) تاريخ بلاد العرب لوطوارت ص ١٠٦ (٦) كتاب بلاد العرب وضع وزارة الحربية البريطانية ص ٢٤ وتاريخ بلاد العرب لوطوارت ص ١٠٦—١١٦

عريش ولا كيف كانت آخرة الشريف حسين وأولاده وانما نعلم ان حكمهم ظل في تهامة عسير واليمن ضعيفاً الى ان ازيل تماماً على يد السيد محمد علي الادريسي

ذكر الشيخ عبد الواسع اليماني في حوادث عام ١٢٦٤ هـ ان امام صنعاء المتوكل عزم على انتزاع تهامة من يد الشريف حسين فجهز قوة تمكنت من اسر الشريف وحبسه في قلعة القطيع في تهامة فاستشارت ابنته قبائل نجران فخلصته من اسر المتوكل واستولت باسم الشريف على زبيد ومخاها[1] . وذكر في موضع آخر ان الشريف حسين ذهب الى الاستانة مستنصراً الحكومة العثمانية فامدته بقوة قادها توفيق باشا وكان ذلك بدء استرجاع آل عثمان لعسير واليمن[2]

٢ — آل عائض

ينتسب آل عائض الى عشيرة آل بو سراح من فخذ آل يزيد من بطن مفيد من قبيلة عسير وهم رؤساء قبيلة عسير المنقسمة الى اربعة بطون كبيرة ذكرناها في بحث القبائل العربية ومركزها بلدة ابها[3] . وسط جبال السراة في عسير

امارة آل عائض في عسير، حديثة العهد ترجع الى ايام حكومة آل سعود وفتحهم عسير. وكانت الامارة قبل ذلك في رجال المع وولها ايام فتح سعود الكبير للحجاز رجل اسمه عبد الوهاب بن عامر المكني بأبي نقطة صاحب الوقائع المشهور ذكره في الحجاز مع الشريف غالب وفي تهامة مع الشريف حمود ابو مسمار شريف ابو عريش[4] . وبعد موته وليها ابن عمه طامي بن شعيب عام ١٢٢٤ الذي خانه حسن بن خالد امير صبيا وسلمه الى قوات محمد علي باشا فأرسلته الى مصر وصلب فيها. ثم ولي امارة عسير بعد ذلك علي بن عجمل عام ١٢٤٩[5] . ومن بعد علي هذا تبدأ امارة آل عائض في عسير السراة

اما كيفية انتقال الامارة من قبيلة رجال المع الى قبيلة عسير فغير معلومة على وجه الصحة وقد ذكر اليماني ان عائض مؤسس العائلة كان من الرعاة فاستقل في النضال ضد الجنود المصرية فقربه ابن عجمل اليه واوصى به ضد ابن سعود بعده فاثبتهُ في الامارة[6]

بلغت قوة آل عائض اوجها ايام محمد بن عائض الذي ولي الامارة بعد والده ووسع حكمه على سائر عسير السراة وقسم من الحجاز فامد وزهران ، وقسم كبير من تهامتي عسير واليمن. فرأت الدولة العثمانية التي كانت من اقوى الدول ايام السلطان عبد العزيز ان ترك الامر على قاربه مضيع هيبتها ومخرج لبلاد عسير واليمن من يدها. فجهزت حملة كبيرة بقيادة رديف باشا واحمد مختار باشا وسيرتها على عسير عام ١٢٨٥ هـ[7] . وتوسط الشريف محمد بن عون

---

(١) تاريخ اليمن ص ٧١ (٢) تاريخ اليمن ص ٧٣ وايراد القصة على هذا النحو يخالف ما نقلناه من كتاب وزارة الخارجية البريطانية عن الكتاب الذين عن بلاد العرب وعن تاريخ سوفاژيه

(٣) تعرف ابها باسم مناظر وهي مؤلفة من اربع قرى كبيرة واقعة في منبسط تحيط به جبال مرتفعة عليها ابراج تحمي البلد (٤) انظر البدو الساكنة وابن بشر ص ١٣٢ — ١٣٤ (٥) ابن بشر ج ٢ ص ٤٩

(٦) تاريخ نجد الحديث ص ٢٦٩ ومما يلاحظ ان ابن عجمل لم يكن اميراً على عسير ايام سعود الكبير فقد كان ولاة عسير الاشخاص الذين ذكرناهم عند ابن عبد الوهاب وابن عمه (٧) تاريخ اليمن ص ١٠٦

بين الدولة وبين ابن عائض على ان يسلم المسيري بلاده وان تحفظ له الدولة اموالهِ وخيولهِ وحصونهِ وان تعين له ولعائلته وبعض رؤسائه مرتبات ومشاهرات . فوصل الفرمان بالامان من السلطان عبد العزيز بينما كانت الجيوش العثمانية بقيادة مختار باشا محاصرة ابها ، فاستسلم محمد الى مختار باشا وحمل رسول السلطان رديف باشا قلم إعياً بالفرمان واعلم ابن عائض وعسير منذ ذلك اليوم تابعة للدولة العثمانية . وجعلت متصرفية مركزها ابها . وتبعها ستة اقضية وهي : (١) بني شهر او الخاص . (٢) عامد ومركزها رغدان . (٣) رجال المع ومركزها الشعبين ، (٤) محايل ومركزها محائن . (٥) القنفذة . (٦) صبيا وابو عريش

وتقهقر آل عائض على الدولة وابتعدوا عنها الى ان كانت فتنة السيد محمد علي الادريسي عام ١٣٢٩ فعادوا اليها . وعينت حسن بن علي بن محمد بن عائض معاوناً لمتصرف سليمان شفيق كمالي باشا

وظل حسن على ولائه للدولة طيلة الحرب العمومية وتعاون مع محيي الدين باشا متصرف عسير وقائد فرقتها لدفع عدوان الادريسي . واستقل بعد جلاء الترك عقيب الحرب بالبلاد وشرع في ادارتها على شكل احفظ الناس وجعلهم يوسطون الملك عبد العزيز في امرهم . فرفض حسن الوساطة وكان من الملك عبد العزيز ان جهز عليه قوة بقيادة الامير عبد العزيز بن مساعد عام ١٣٣٨ هـ (١٩٢١ م) وحصلت بين الفريقين معركة في حجلة بين ابها وخميس مشيط انهزم آل عائض فيها وهربوا الى تهامة فأسر الادريسي حليف ابن سعود بعضهم واستسلم حسن ومحمد ابن عمه لابن مساعد فذهب بهما الى الرياض . ووصلهما الملك عبد العزيز بالجوائز واعاد حسناً ومحمداً الى ابها . ولكنهما عادا الى سابق سيرتهما وحاصرا امير ابن سعود في ابها واحتلاها . فلما رأى الملك عبد العزيز خيانتهما وما كان من غدرهما جهز حملة جديدة من أهل نجد بقيادة نجله الثاني سمو الامير فيصل عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢م) فوصلت الى عسير وحصلت عدة وقائع آخرها واقعة بين السرية التي انقذها الشريف حسين بن علي من مكة لامداد محمد بن عائض فقضى على السرية كما قضى على حسون ابن عائض وقلاعه واتبعت عسير السراة نهائياً بالمملكة النجدية واستبق حسن بن عائض الى الرياض ولا يزال فيها الى الآن

٣ — السيد محمد علي الادريسي

يبدأ تاريخ اسرة الادارسة من محمد بن علي بن احمد بن ادريس . وكان جده السيد احمد ابن ادريس من أهل العلم والصلاح هاجر من المغرب واقام في مكة المكرمة برهة ثم ذهب الى تهامة اليمن لزيارة بعض تلاميذه ومريديه واستقر به النوى عام ١٢٤٦ (١٨٣٠) في صبيا في جوار الشريف حسين شريف ابو عريش واقام هنالك بطريقته الادريسية الى ان توفي بعد ذلك بنحو سبع سنوات

قامت لسيرة السيد محمد جده السيد احمد على التراث الديني الذي خلفه له وجده بين القبائل واحاطته الظروف السياسية ، وما كانت عليه الدولة العثمانية من تضعضع وانهيار في أواخر ايام

السلطان عبد الحميد فراح يدعو الى نفسه دعوة اصلاح ديني املاً في الوصول الى اغراضه السياسية

ولد السيد محمد عام ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦م) في صبيا وجاء الى مكة مجاوراً عام ١٣١٣هـ. ثم رحل الى القاهرة ودخل الازهر الشريف ثم ذهب الى واحة الكفرة مركز السنوسية وانصرف منها الى دنقلة حيث اخواله بالسودان . ثم عاد الى صبيا مسقط رأسه في أواخر سني السلطان عبد الحميد فوجد مرتعاً خصيباً لعمله وساعده على ذلك فساد الادارة وانتشار الرشوة وبعد البلاد عن مركز الحكومة والاستبداد الظاهر ، فالتفت حوله الناس من كل حدب وصوب . وارادت الحكومة العثمانية عجم عوده فارسلت اليه وفداً سار خلفه جيش كبير يقوده القائد سعيد باشا . فافهم الادريسي حالة البلاد للوفد وانه وجدها ممطلة فاسدة الادارة معدومة الامن فقام هو باصلاح احوالها عن طريق الاصلاح الديني ، وذلك في مصلحة الدولة وانه لا مصلحة له من ذلك فخدع الوفد باقواله . ونال الادريسي من قائد الجيش اعلاناً للقبائل بفوضه فيه بقيامه ببعض المهام فكان ذلك سبباً في ازدياد سطوته ونفوذه وعينته الحكومة قائمقاماً لصبيا وابو عريش

وبعد ذلك ببرهة قصيرة ألب على الحكومة العثمانية وأرسل من قبله قواداً لاحتلال البلاد ووجه ابن عمه السيد مصطفى الادريسي الى عسير السراة لاحتلال ابها وكان ذلك في ذي القعدة عام ١٣٢٨ . وشدد الادريسي الحصار على ابها وفيها المتصرف سليمان شفيق كالي باشا الى ان فك الحصار عنها على يد القوة التي قادها الشريف حسين بن علي امير مكة في السنة التالية

وتحصن السيد محمد بعد وصول القوات اليه في جبل فيفاء ولكنه عاد الى تهامة بعد اعلان الحرب بين ايطاليا والحكومة العثمانية واستولى على صبيا وجيزان وابو عريش واتفق مع الحكومة الايطالية التي امدته ببعض المال والذخيرة . غير ان علاقات السيد محمد مع ايطاليا وقفت عند هذا الحد واستبدل بها صداقة جديدة مع الحكومة البريطانية في السنة الاولى من اعلان الحرب العمومية فانه عقد عام ١٩١٥ معاهدة صداقة ثم جددت هذه المعاهدة عام ١٩١٧ واعترفت له بريطانيا بالسيادة على تهامة حتى اللحية في الجنوب والقنفذة في الشمال وتعهدت له بحمايته من اي تعد خارجي كما انه تعهد بعدم تأسيس علاقات سياسية أو تجارية مع اية حكومة اجنبية

واشتد ساعد السيد محمد بعد الحرب العمومية واستولى على الحديدة وتعاقد مع الملك عبد العزيز بن سعود للقيام معاً لتأمين مصالح الجانبين وظلت صلاتهما حسنة الى آخر أيام السيد محمد غير ان موقف السيد كان عصيباً نظراً لوقوعه بين عدوين كبيرين الامام يحيى في اليمن والشريف حسين في الحجاز ووقعت بلاده بعد وفاته في شعبان عام ١٣٤١ (١٩٢٣) فريسة في براثن الفتنة فاستولى الامام يحيى على القسم الجنوبي منها وانضمت الاقسام الاخرى الى ممالك ابن سعود

٤ — زوال امارة الادارسة

بعد وفاة السيد محمد الكبير ولي الامارة ولده علي فاغتنم الامام يحيى حميد الدين

الفرصة لاسترجاع تهامة منه فوفق الى ضبط الحديدة والاستيلاء على الساحل حتى مدينة ميدي . فثار اهل البلاد على علي وبايعوا عمه الحسن فنجا السيد علي الى جلالة الملك عبدالعزيز اثناء فتحه للحجاز وما زال مقيماً في بلاطه حتى الآن

اما السيد الحسن فانه اراد أن يقلد اخاه محمد الكبير ففاوض حيات عديدة ، فاوض الملك عبدالعزيز مذكراً اياه بصداقة العائلتين ، وفاوض الامام يحيى ، وفاوض الايطاليين ، وفاوض كذلك الانكليز بواسطة ابن عمه مصطفى واقرت مفاوضاته مع الانكليز انه اعطى لشركة انكليزية امتيازاً باستخراج الزيت من فرسان بشروط مجحفة بحقوق البلاد والاهلين ، وبينما كان مندوبوه يفاوضون الامام يحيى في صنعاء نجح مندوبه الآخر وابن عمه مرغني في عقد معاهدة مكة بين الملك عبد العزيز والحسن عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦م) ووضعت المقاطعة بموجب المعاهدة تحت حمايته وقطعت جهيزة قول كل خطيب

ولم يباشر الملك عبد العزيز حقوق الحماية اول الامر الا فيما يتعلق بامتياز شركة الزيت في فرسان فانه رأى فيه اجحافاً وغبناً عظيمين فوفق الى الغائه . وابقى ادارة البلاد في يد هيئة حاكمة تحت رئاسة السيد واكتفى بارسال مندوب يكون الى جانب الحسن ليعاونه في اعماله وحضر مندوبون من قبل الحسن الى بلاط الملك عبد العزيز في الطائف لوضع القواعد الاساسية لادارة البلاد — فوافق الملك على اقتراحات وفد الحسن وجعل الادارة الداخلية وتأمين الامن واعداد الجند للدفاع في يد الحكومة المحلية واحتفظ بالشؤون الخارجية فقط الا ان الادارة المحلية عجزت بعد سنتين عن ادارة الامور وتأمين الاحكام . ولم تكن قادرة على جباية الاموال الاميرية اللازمة لكيانها بالرغم عن مد الملك عبد العزيز يد المساعدة لها

وفي ١٧ جمادى الاولى عام ١٣٤٩ ابرق الحسن الادريسي الى الملك عبد العزيز ما يأتي:

«كتبكم برفقة السيد وصلت وتذاكرنا مع وفدكم فتقرر بموافقتنا ورضانا اسناد ادارة بلادنا وماليتنا الى عهدة جلالتكم[1]» . وعهد الى مندوبين من الجانبين لوضع التعليمات الاساسية التي تتمشى عليها المقاطعة بعد ذلك وأصبحت المقاطعة الادريسية مقاطعة من مقاطعات المملكة الحجازية والنجدية وملحقاتها وجعل للسيد الحسن مقام استقلالي ممتاز محافظة على كرامته وكرامة عائلته[2]

وبعد اعلان توحيد اجزاء المملكة الحجازية والنجدية وملحقاتها ، وجعلها مملكة واحدة باسم المملكة العربية السعودية ، كان من المنتظر اعادة تنقيح التشكيلات الادارية في المقاطعة الا ان الحسن اغتر بمواعيد بعض المفسدين فحاول ان ينقض بالقوة ما تعهد به من قبل برضاه التام ورفع علم الثورة ضد الحكومة فجردت عليه حملة تأديبية قضت على فتنته ووضعت حداً لحكم الاسرة الادريسية في صبيا وجيزان وأبو عريش

(١) مجموعة معاهدات وزارة الخارجية ص ٦٦ (٢) انظر الوثائق الخاصة بذلك في مجموعة المعاهدات ص ٦٥ — ٧٦